الاغتيال السياسي في العصر الوسيط – لسان الدين ابن الخطيب نموذجا.

Political assassination in the middle ages, Lissane Eddine ibn al-Khatib as a model.

خديجة الكيلي

طالبة دكتوراه ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن طفيل القنيطرة . المغرب.

البريد الالكتروني : khadijaguaili@gmail.com

تاريخ الاستلام: 12/02/2021 **تاريخ القبول**: 2021/04/14 **تاريخ النشر**: 2021/05/05

ملخص:

يشكل الاغتيال أحد أهم القضايا الإنسانية التي انتشرت عبر التاريخ، ولم تستثن أي فترة زمنية منه، والذي بقي يُمارس حتى في عصرنا الحالي رغم ما عرفته الحضارات من تقدم فكري. إن ظاهرة الاغتيال مست جميع طبقات المجتمع بدءا من سلاطين العصر الوسيط وصولا إلى العامة من الناس ، حيث عرف الاغتيال انتشارا كبيرا في مجتمع دولة العصر الوسيط وكان من أهم أسبابه الدافع السياسي الذي راح ضحيته كثير من الشخصيات المشهورة من مفكرين وعلماء وفلاسفة.

ويعتبر لسان الدين ابن الخطيب واحد من أشهر علماء عصره الذين سقطوا ضحية للمكائد السياسية والمؤامرة التي أدت إلى اغتياله في نهاية الأمر.

الكلمات الدالة: اغتيال – قضايا – التاريخ – حضارة – طبقات – مجتمع –سلاطين – عصر وسيط – أسباب – سياسي. ضحية – شخصية – مكائد – مؤامرات.

Abstract:

The assassination is one of the most important humanitarian issues that have spread throughout history, and did not exclude any period of time. Which remained practiced until our current generation, despite what civilizations knew of intellectual progress. The phenomenon of assassination touched all classes of society from the medieval sultans to the general public. Where assassination was widespread in the state of the middle ages, and

one of the important reasons was the political motive that led to murder of many famous persons some of them are thinkers, scientists and philosophers.

"Lissan eddin Ibn al-Khatib" is one of the most famous scholars of his time who fell victim to political intrigue and conspiracies that led to his assassination by the end.

Key words: assassination, issues, history, civilizations, classes, society, Sultans, middle ages, reasons, political, victim, persons, intrigue, conspiracies.

1. مقدمة:

إن موضوع الاغتيال السياسي أحد أخطر الظواهر التي تهم حق الإنسان في الحياة، وتمس بمبدأ كرامته، ذلك أنه لم يستثن أي مرحلة تاريخية من مراحل التطور الإنساني بجميع مجالاته السياسية والاجتماعية والقانونية، بل ظل مرتبطا بما هو سياسي وديني وعرقي واقتصادي وأحيانا بالدولة ومؤسساتها وتنظيماتها فلا تكاد أي فترة تخلو من ظاهرة الاغتيال والتي لا تزال معالمها واضحة ومستمرة حتى في عصرنا الحالي، رغم التطور الذي شهده العالم من قبيل الثورات الإنسانية الفكرية سواء في القرن الثامن عشر بأفكاره المستنيرة مع كبار المفكرين من قبيل روسو وفولتير[1]...والداعية لنبذ العنف والتسامح والتعايش[2] ووضع شرعية حقوق الإنسان لسنة 1789 م أو في الفترات المعاصرة.

ونظرا لما لهذا الموضوع من أهمية كونه مرتبط بحياة الفرد وحقه في العيش ؛ وذلك عبر قتله والتخلص منه بصفة نهائية ، انطلاقا من ذلك فقد أخذ الاهتمام يكبر من أجل سبر أغوار هذا الموضوع الحساس المتعلق بالاغتيال السياسي لما له من حمولة ثقيلة ولما لهذه الآفة من تهديد سواء على الفرد أو المجتمع . فمند القدم استهدف الاغتيال فئات معينة داخل المجتمع ، ولعل من أبرز الدوافع والأسباب المؤدية إلى مثل هذه التصفيات الجسدية يكون بدافع سياسي أو بدافع الثأر والانتقام، لكن يظل الدافع السياسي من أهم الأسباب نظرا لما

يلفه من غموض وطابع سري. إن هذه الظاهرة قديمة قدم الدهر، فمنذ الوهلة الأولى التي وجد فيها الإنسان ارتبط بهذا الصراع الدموي.[3]

إن ما يشهده عالمنا في المرحلة من مظاهر للعنف والاغتيالات إما بدافع الدين أو بدافع العرق أو حتى بدافع الاقتصاد يتطلب منا العودة الملحة لدراسة هذا الفعل الإجرامي الذي تعاقب عنه جميع القوانين في العالم باعتباره قتلا عمدا مع سبق الإصرار والترصد... فمهما كانت الغاية و الدافع فهو لا يسمح بسلب حياة شخص معين على حساب شخص آخر، ذلك أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن يمارس العنف بشكل مجاني على فرد آخر لا لشيء لمجرد انفعالات نفسية من قبيل الكراهية والعنصرية أو الانتقام.

إن الهدف من دراسة هذا الموضوع بالذات لا لتشهير أو نشر أفكار تدعوا لممارسة العنف بكل تجلياته منها القتل و الاغتيال أو فضح الطابع الغريزي " الحيواني" الموجود في التركيبة البشرية، بل على العكس تماما هو دراسة موضوعية غايتها العودة إلى التاريخ من أجل البحث في هذا الفعل و السلوك الذي ظل مسكوت عنه طيلة عقود، ولأخذ العبرة من التجارب السابقة قصد فهم معمق وأكثر وضوحا لنبذ جل الأفكار الداعية للعنف والحقد والكراهية. فما أحوجنا اليوم إلى بناء إنسان سوي متصالح مع نفسه ومع الآخر مهما كانت اختلافاته العرقية والإثنية الدينية والى مجتمعات يسودها السلم والتعايش.

2. دوافع وأسباب الاغتيالات:

إن البحث في ظاهرة الاغتيال يدفعنا لنطرح عدة إشكالات لعل أهمها السؤال الأبرز والأهم وهو الدافع وراء عمليات الاغتيال التي شهدتها المرحلة الوسيطية، وإلى أي حد شكلت عملية القتل والاغتيالات تهديدا سواء على السلطة أو على المجتمع، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار العقلية المكونة لهذا المجتمع ودورها في تكريس مثل هذه الممارسات الخطيرة ولما لها من آثار على الجانبين، وعلى المجتمع بكل شرائحه من عبيد وعامة والمكونة من أجناس وطوائف دينية مختلفة شكلت أساس المجتمع الوسيط، هذا الغنى والتنوع الثقافي المكون لبنية المجتمع والذي لم تسلم منه أي طائفة أو عرق خاصة مع الصراعات السياسية

والاقتصادية التي عرفتها دول العصر الوسيط إذ كانت كل مرحلة بمثابة نفي لما سبقها ومحاولة لتشييد عقليات وترويج لأفكار وإيديولوجيات جديدة أخذت تارة أشكالا متباينة ذات طابع ديني في مرحلة معينة. ولعل أبرز مثال لذلك هو بداية تأسيس دولة الموحدين بزعامة رائدها ومؤسسها فكريا ودينيا "المهدي بن تومرت" وفكرته المهدوية، ليتزعم بذلك حملاته التطهيرية متخذا من فكرة المهدوية ودعوته المبنية على فكرة مفادها " النهي عن المنكر والأمر بالمعروف" أحد أبرز الدعامات التي استند لها للقيام بعمليات القتل (الميز) واغتيالات. وتارة أخرى نجد أن الدافع يمكن أن يكون اقتصاديا وخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن نهاية كل عصر يكون مصحوبا بمجموعة من الأزمات الاقتصادية من مجاعات وأوبئة...مما يضطر فئات المجتمع إلى الانتفاض والانقلاب على مؤسسات الحكم، وقيام ثورات وحركات لها مطالب ذات طابع اقتصادي تتخذ أفراد وشخصيات جديدة يمكن بدورها أن تؤسس وتروج لأفكار جديدة ذات طابع ديني أو عصبي قبلي في الأغلب.

وبذلك يمكن أن نلخص أهم الدوافع كالتالي:

1- الصراع على الحكم بين أفراد الأسر الحاكمة.

2 - ضعف السلطة.

3- الطمع في السلطة وتدبير المؤامرات والدسائس.

4- تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

5- الصراعات الدينية والمذهبية.

2.2 –الاغتيال السياسي:

يشكل الاغتيال أحد أخطر الجرائم البشرية، بوصفه أكثر مظاهر العنف ضررا وقسوة، الممارس في حق فرد معين له وزنه السياسي أو الاجتماعي، أو الاقتصادي أو يمارس في حق جماعة بأكملها حيث يتم إبادتها.

فإذا كان العنف بجل أشكاله، سواء التعذيب أو السجن أو النفي يمس بمبدأ كرامة الإنسان وحرمانه من قيمة الحرية، فإن الاغتيال يعد أكثرهم ضررا ورعبا إذ يتم سلب الإنسان

حقه في الحياة، ويقوده إلى هلاكه وموته، والتخلص منه بصفة نهائية، وللاغتيال أسباب متنوعة ربما كانت الحرب إحداها أو الثأر أو الخصام، وربما كان السبب سياسيا، وهذا هو محور مقالنا الذي سنقف عنده بالتفصيل.

الاغتيالات السياسية هي التصفيات الجسدية التي تستهدف الخصوم السياسيين من معارضين أو منافسين في قضايا ذات صلة بالصراع الاجتماعي. وهو كما عرفه أحد الباحثين[4] بأنه ظاهرة استخدام العنف والتصفية الجسدية، بحق شخصيات سياسية، كأسلوب من أساليب العمل والصراع السياسي ضد الخصوم، يهدف خدمة اتجاه معين أو غرض سياسي. كما يرتبط الاغتيال السياسي بجريمة القتل المتعمدة والمنظمة من طرف شخص أو أكثر لحساب مؤسسة، أو فرد، أو جماعة أو دولة، ويكون موجها من طرف ثان يحمل أفكارا مخالفة لجهة ما فعندما تغيب وسائل الإقناع يلجأ إلى استعمال القوة التي "تجسد حالة من الخواء الفكري والسياسي"[5].

ويحيط بالاغتيال نوع من الغموض والسرية التامة، إذ تقوم بتنفيذه جهات مختصة أو تنظيمات ذات طابع تكنيكي من محكم " لأنها العملية الأخيرة التي تلجأ إليها السلطة للتخلص من معارضيها وتصفيتهم جسديا[6]. كما تختلف أساليبها وظروف القيام بها باختلاف أهمية الضحية داخل الوسط الاجتماعي أما بالنسبة للدول العصر الوسيط فقد مورس هذا الأسلوب بشكل علني بطرق مباشرة، حيث كانت تعلق الأجساد ويتم صلبها أمام العامة، أو اغتيلت بطرق أخرى من بالتسميم والخنق.

3. اغتيال لسان الدين ابن الخطيب:

ولد لسان الدين ابن الخطيب بمدينة لوشة ،غرب غرناطة سنة713هـ /1313م وهو قرطبي الأصل،" انتقل أبوه عبد الله على غرناطة، واستعمل على مخازن الطعام. ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وتأدب على مشيختها، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحي ابن هذيلي، وأخذ عنه العلوم الفلسفية، وبرز في الطب وانتحل الأدب، وأخذ عن أشياخه وامتلأ من خوض اللسان نظمه ونثره، مع انتقاء الجيد منه، ونبغ في الشعر والترسل بحيث لا يجارى

فيها، وامتدح السلطان أبي الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره، وملأ الدولة بمداحه"[7] ويصفه المقري [8] "انه الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة."

يعد ابن الخطيب شخصية سياسية مشهورة إلى جانب اشتغاله في الطب والفلسفة كما كان مؤرخا بارعا وكاتبا ووزير سياسي ما جعله يلقب ب" ذي الوزارتين" لجمعه بين الكتابة والوزارة[9] عندما رقاه السلطان فأصبح كاتبا "فأتبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوسا بابي الحسن ابن الحباب"[10] سرعان ما ولاه رياسة الكتابة فيما بعد كما كان" يشرف على تصريف شؤون الدولة المدنية و العسكرية في مملكة غرناطة في القرن 8هـ/14م"[11] كما "صدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة. فداخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشاطرات، فجمع له بها أموالا. وبلغ في المخالصة إلى حيث لم يبلغه بأحد من قبله."[12]

لكن مع هلاك السلطان أبي الحجاج مقتولا ، حيث " عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلاة وطعنه وفاض لوقته ، وتعاورته سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء "[13] سيعرف مسار ابن الخطيب تغييرا جذريا فلم يعد كاتبا للدولة. بعد أن بويع محمد ابن السلطان أبو الحجاج . عين ابن الخطيب سفيرا بعد أن " كسب ثقة السلطان الغرناطي وأصبح قريبا منه وصاحب سره وكتاباته ونجح في سفارته مع المغرب والنصارى"[14] وقد كان لأسلوب ابن الخطيب الجيد في فن الخطابة والشعر عاملان قويان لتمكنه من النجاح في مهامه كسفير للعلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب، خاصة بعد "رسائله بين سلطانه وسلطان ابن مرين"[15] ولعل خير مثال على ذلك رسالته للسلطان المريني ،حينما أرسل في مهمة فكتب شعرا في السلطان المريني:

خَليفَةَ الله سَاعدَ القَـدرُ عُلاكَ ما لاَحَ في الدّجَى قَمرُ.
ودافَعَتْ عَنْكَ كفُّ قُدرَتِهِ ما ليْسَ يسْتطِيعُ دفْعُهُ البشَرُ.
وجْهُكَ في النّائباتِ بدرُ دُجَى لناَ وفِي المحْلِ كفُّكَ المطرُ.
والنّاسُ طُرّاً بأرضِ أندلُسٍ لوْلاَكَ مَا أوطَنوا ولا عمَروا.

وجُمْلةُ الأمْرِ أنّهُ وطـن في غيرِ عُلْيَاكَ ما لهُ وطرُ .[16]

من خلال هده الرسالة استطاع ابن الخطيب أن يجعل السلطان المريني يرضى بمطالب السلطان الغرناطي، فيقول هو نفسه في نجاح مهمته: " كان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير من واد أصيل، وإمداد موهوب ومهادات أثيرة وفطار مجنون محمول، وطعمه مسوغة وكان الوصول في وسط محرم سنة 756 هـ وقد نجح السعي، وأثمر الجهد وصدقت المخيلة".[17]

بعد خدمته في غرناطة كسفير ناجح، لم يدم حاله حتى انقلبت حياته السياسية، ووقف حساده وأعدائه الذين تمكنوا من دس المكائد والمؤامرات قصد الإطاحة به فاستطاعوا أن يقصوا الحاكم الغرناطي الغني بالله من الحكم أما ابن الخطيب فلم يظل في الوزارة لمدة طويلة.[18]

عند نجاح ثورة غرناطة تمكن إسماعيل من الاستيلاء على العرش، انقلبت حياة ابن الخطيب وفقد كل نفوذه اثر هذه النكبة ،فثم القبض عليه وصادر السلطان الجديد جميع أملاكه.

بعد هذه الأحداث استقر بمدينة سلا سنة 760هـ بعد أن كان محبوسا في الأندلس ،حين تدخل السلطان المريني " طلب من السلطان الجديد السماح لأبن الخطيب الالتحاق بسلطانه الغني بالله إلى المغرب"[19] وبقي رفقته في المغرب مدة ثلاثة سنوات إلى حين مقتل إسماعيل عقب ثورة غرناطة وهذه المرة سنة763هـ/1361م.

استعاد الغني بالله مكانه كحاكم لغرناطة، ثم عاد إليها رفقة ابن الخطيب الذي استعاد بدوره مكانه ككاتب. لكن على الرغم من ذلك فلم يكن مرتاحا خاصة وان أعدائه لم يتركوا فرصة إلا وقاموا بدس المكائد ضده لسلطانه العائد "الغني بالله" ولما أحس انه لم يعد يحضا بثقة سلطانه كما عهده في السابق، لما بلغه أن كاتبه في تواصل مع سلطان المغرب. فما كان من لسان الدين إلا أن يسارع في طلب تأمين الحماية من السلطان المريني "عبد العزيز" ليتمكن من الرجوع إلى المغرب قادما من الأندلس. كما يذكر ابن خلدون: « أجمع التحويل

عن الأندلس إلى المغرب. واستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية، وسار إليها في لمة من فرسانه، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطنة. ولما حادى جبل الفتح، فرضة المجاز إلى العدوة، مال إليه وسرح إذنه بين يديه، فخرج قائد الجبل لتلقيه. وكان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك وجهز له الأسطول من حيته. فأجاز إلى سبتة وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتثال المراسيم، ثم سلك لقصد السلطان، فقدم عليه ...فاهتزت له الدولة، وأركب السلطان خاصته لتلقيه، وأحله من مجلسه محل الأمن والغبطة، ومن دولته بمكان البنوة و العزة »[20].

حظي لسان الدين باستقبال أسطوري من طرف السلطان المزيني "عبد العزيز" فجعل له مكانة رفيعة داخل الدولة، وأرسل في طلب إحضار أهله وأولاده من الأندلس. وقام بمنحه إقطاعات. مما زاد من غيظ حساده ومنافسيه عليه" وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها إليه. رفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن أبي الحسن فاستردها وسجل عليه بالزندقة"[21].

كانت خيوط المؤامرة قد بدأت تنسج خيوطها قصد التخلص من ابن الخطيب، غير أن السلطان المريني كان يتصدى لأي محاولة قد يذهب ضحيتها كاتب ومفكر مرموق من فصيلة لسان الدين ابن الخطيب، فلما بعث القاضي للسلطان بهدف الانتقام منه "وإمضاء حكم الله فيه" كان رد السلطان المريني له: "هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه؟ وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان في جواري."[22]

استقر ابن الخطيب بفاس فكان محبا للفن و الثقافة والعمران "فتأنق في بناء المساكن وإغراس الجنات"[23] واستمر في عمله السياسي داخل المغرب وكان يحضا بمكانة جيدة في الدولة المرينية، مما زاد من حقد حساده وكثرة مضايقات السلطان الغرناطي الغني بالله الذي أصبح يضيق سمعه لما يلقي من أخبار ابن الخطيب، فابلغوه أنه ما ينفك يحرض السلطان المريني أبا فارس عبد العزيز للانقضاض على غرناطة والإجهاز على بني الأحمر في الأندلس فألصقوا به العديد من التهم قصد "التصفية"[24].

بعد وفاة السلطان "عبد العزيز" في ربيع الثاني 774هـ/1372م[25] تولى من بعده الحكم " أبو زيان محمد بن عبد العزيز" وكان صبيا صغيرا لا يملك أي تجربة وحنكة سياسية فتحكم في شأنه وزيره "أبا بكر بن غازي" وكان يقوم بإعطاء جميع الأوامر، وضغط عليه سلطان غرناطة من أجل أن يسلمه ابن الخطيب ،غير أن الوزير لم يرضخ لطلبات السلطان الغرناطي نظرا لما كان يجمعه من صداقة مع ابن الخطيب واحترامه له ككاتب ومفكر .

اشتد حقد خصوم ابن الخطيب عليه ومنهم القاضي "أبو الحسن" الذي اتهمه بالزندقة والكفر وأمر "بجمع كتبه وصب الزيت عليها وإحراقها في حضرة غرناطة منتصف سنة 773هـ/1372م بحضور نفر من الفقهاء و المدرسين"[26].

وعلى إثر الأوضاع المتأزمة التي كانت تمر منها الدولة المرينية جراء التدخل في الشأن السياسي للمغرب من طرف حاكم بني الأحمر في غرناطة قام بتدبير مؤامرة هدفها الإطاحة بالملك "السعيد" ووزيره "ابن الغازي" وتنصيب الأمير " أحمد بن السلطان أبي سالم"[27] الذي نصب حاكما على المغرب سنة776هـ/1374م[28] بمساعدة من " الغني بالله" حاكم غرناطة، والذي كان يتربص بابن الخطيب، فقام بإبرام اتفاق مع "أحمد أبو العباس" كان من أهم بنوده شرطان أساسيان أولهما: تسليم ابن الخطيب ، و الثاني أخد جبل طارق[29] .

وبما أن أعداء ابن الخطيب كثر فان الفرصة كانت مواتية لتدبير مؤامرة اغتياله منهم الوزير "سليمان بن داود" الذي كان شديد الكره لابن الخطيب، نظرا لحسابات قديمة كانت بينهما مند كان ابن الخطيب في وزارة ابن الأحمر في غرناطة، كان يسعى الوزير إلى منصب مشيخة ورئاسة الغزاة بالأندلس، لكن بعد تدخل ابن الخطيب واستشارته من طرف سلطان ابن الأحمر تصدى لتلك الرئاسة ورأى أن "آل عبد الحق" من زناتة أحق بها. أما الوزير سليمان " فرجع بائسا حاقدا"[30] .وكانت هده من الأسباب التي أدت إلى نكبة ابن الخطيب ، حساده وأعدائه من وزراء وقضاة إلى جانب "الغني بالله" سلطان غرناطة واتفاقه مع السلطان المريني الجديد "أبو العباس" الذي أخد معه ابن الخطيب إلى مدينة طنجة لغزوها وفي هذه الأثناء تم القبض على لسان الدين وأخبروا سلطان ابن الأحمر فأرسل كاتبه

ووزيره إلى المغرب لإحضار ابن الخطيب إلى مجلس الشورى والخاصة. وكما يذكر ابن خلدون وهو الصديق لابن الخطيب الذي كان شاهدا على نكبته حينما اغتيل بطريقة انتقامية بشعة . "أحضر ابن الخطيب و عرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابته، فعضم النكير فيها ، فوبخ ونكل، وأمتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ من الناس، ثم ثل إلى محبسه. واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه و أفتى بعض الفقهاء فيه"[31] واتهموه بالإلحاد والزندقة.

وفي هذه الأثناء من محنة ابن الخطيب و تعذيبه بالسجن قام الوزير باستغلال الفرصة "فدس بعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر، وقتلوه خنقا في محبسه"[32] ولم يكتفوا فقط باغتياله بهذه الطريقة الماكرة حينما تنكر القتلة على هيئة خدم وسفراء، بل الأكثر من ذلك أنهم "أخرجوا شلوه من يومه ودفن بمقبرة باب المحروق، ثم أصبح من الغد على شافة قبره ضريحا، وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا واسود بشره، فأعيد إلى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته." [33]

إن هذه الطريقة المهينة التي قام بها "سليمان بن داود" جعلت الناس" يعتدونها عليه فعظم النكير عليه وعلى قومه وأهل دولته" ولأنه كان مقربا من سلطان ابن الأحمر، بعدما فعل فعلته، ذهب للإقامة لدى سلطانه إلى أن هلك هناك.

أما لسان الدين ابن الخطيب فكان بتوقع قرب أجله وهو في محبسه "فتجيش هواتفه لشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك:

بَعُدْنَا وإنْ جَاوَرَتْنَا البُيُوتْ ... وَجِئْنَا بِوَعْظٍ ونحَنُ صُموتْ
وَأَنفَاسُنَا سَكَتَتْ دَفْعَةً ... كَجَهْرِ الصّلاةِ تَلاهُ القُنُوتْ
وَكُنّا عِظَامًا فَصِرْنا عِظاماً ... وكُنّا نَقوتُ فهَا نحْنُ قُوتْ
وكُنّا شموس سماء العلى ... غَربنَ فناحَتْ عليها البُيوتْ
فَكَمْ جَدّلتْ ذا الحُسام الظّبَى ... وذَا البَختِ كَمْ خَذَلتْهُ البُختوتْ

وكم سِيقَ للقبْرِ فِي خِرقةٍ فتىً مُلئَتْ من كَسَاهُ التخوتْ
فقل للعِدا ذهَبَ ابن الخَطيبِ وفاتَ ومن ذا الذّي لا يفُوتْ
فمن كان يفرحُ منكم له فقُل يفْرح اليومَ من لا يموتْ.[34]

4. خاتمة:

خلاصة القول، يبقى الاغتيال السياسي ظاهرة خطيرة ومرعبة ومأساة حقيقية في صراع الإنسان "لامتلاك القوة"[35] تلجأ إليه الأطراف الضعيفة والمتعصبة التي تقوم بتدمير الحياة في سبيل الموت. ولعل أبرز مثال لذلك هو نهاية لسان الدين بن الخطيب الأديب والعالم الذي راح ضحية المؤامرة السياسية، فبعد ما عاشه من مجد وشهرة كونه العالم والكاتب والوزير الذي عاش في كنف القصور والملوك، الى المنفى والهروب ثم إلى اغتياله في النهاية.

يتضح أن ظاهرة الاغتيالات السياسية انتشرت بشكل كبير في دول العصر الوسيط فتارة استهدفت تصفية المعارضين والمشككين، وتارة استهدفت تصفية العلماء من مفكرين كتاب وفلاسفة كما تعددت أسبابها، إما بدافع الرغبة في التحكم بالدولة وشؤونها، وغريزة حب امتلاك السلطة والقوة والسيطرة الكاملة في العقل البشري[36]. والتي تكون لها نتائج وخيمة تؤدي إلى قيام حروب، أو تدفع إلى ارتكاب أبشع الجرائم المتمثلة في الاغتيال. أو بسبب الاستحواذ على ولايات المنافسين، أو رغبة في قلب نظام سياسي، أو بسبب الانتقام والثأر والغيرة والحسد التي قادت إلى تبادل التهم وتدبير المكائد، وأحيانا أخرى بدافع اقتصادي لكن يبقى الدافع السياسي أهم عوامل الاغتيال.

كما لم تسلم منه أي من الطبقات الاجتماعية فاتخذ تارة شكلا فرديا، وتارة أخرى أشكالا جماعية، أما المغتالون السياسيون في الفترة المدروسة فهم طبقات وأصناف نجد منها:

الطبقة الحاكمة بمن فيهم الخلفاء، الأمراء والولاة، إلى جانب أصحاب المناصب السياسية: كالوزراء والحجاب، والقادة، بصفتهم يتقلدون المناصب العليا في الدولة.

ونجد في الصنف الثاني أصحاب المناصب الإدارية: كالقضاة وولاة المدن.

أما الصنف الثالث: فهم المعارضون للسلطة الحاكمة وهم أصحاب الأفكار المعارضة من ضمنهم العلماء، الفقهاء والفلاسفة والمتصوفة، بالإضافة إلى الخارجين عن طاعة الدولة.

ومع تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية كانت تظهر العديد من الثورات المعارضة لدول الحاكمة، وقد مورس الاغتيال في مجتمع العصر الوسيط في حق المقربين إما الإخوة أو الأبناء... وبأشكال وأساليب متنوعة، إما خنقا كما حدث مع ابن الخطيب أو عن طريق التسميم او بالطعن... كما تختلف الوسائل من عصر إلى أخر.

5. قائمة المراجع:

- ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء السادس والسابع، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر.1431هـ- 2000م.
- لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2002م.
- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1،تحقيق عنان محمد عبد الله، ط2، حققه ووضع مقدمته و حواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.
- أحمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق ذ راجان عباس،ج5، دار صادر بيروت1408هـ/1988م.
- أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، تحقيق ذ.محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1396هـ/1976م.
- هاني الخير، أهم وأشهر الاغتيالات السياسية في العالم، دار أسامة للطبع، 1985.
- عصام عبد الفتاح، أهم وأشهر الاغتيالات السياسية في التاريخ، دار الكنوز للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2012.

- عبد اللطيف الحناشي، السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية أنموذجا، مؤسسة دراسات و أبحاث ، الرباط، دت.
- عبد الهادي التازي، الموجز في العلاقات الدولية للمملكة المغربية، المغرب، 1980.
- عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، ط2، دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة 1441هـ/1990م.
- سيغموند فرويد، أفكار لأزمنة الحرب والموت، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977.
- يوسف علي الطويل ،مجلة صور الجديدة،2011.
- عبد الله كانون، نصوص وتاريخ ومناقب، مجلة مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، العدد2، جانفي 2016.

6.الهوامش:

1 VOLTAIRE: toleration and other essays. Translated, with introduction, by JOSEPH McCabe. Publisher New York and London, G.P. Putnam's sons, 1912.

2 IMMANUEL KANT: Perpetual Peace, translated with introduction and notes by M,CAMPBEL SMITH, M.A. London: GEORGE ALLEN & UNIWIN LTD. RUSKIN HOUSE. New York: the Macmillan company.

3 سيغموند فرويد، أفكار لأزمنة الحرب والموت، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977، ص10.

4 هاني الخير، أهم وأشهر الاغتيالات السياسية في العالم، دار أسامة للطبع، 1985، ص. 13 .

5 عصام عبد الفتاح، أهم وأشهر الاغتيالات السياسية في التاريخ، دار الكنوز للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2012، ص8.

6 عبد اللطيف الحناشي، السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية أنموذجا، مؤسسة دراسات و أبحاث ، الرباط، دت،ص.11.

7 ابن خلدون ، العبر، مج13، ج7،ص689./ لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/ 2002م، ص 14.

8 احمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق ذ راجان عباس ، ج5، دار صادر بيروت1408هـ/1988م، ص7.

9 يوسف علي الطويل ،مجلة صور الجديدة، ع1،2011،ص37.

10 ابن خلدون، العبر، مج13، ج7، ص690.

11 عبد الله كانون، نصوص وتاريخ ومناقب، مجلة مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، العدد2، جانفي 2016.

12 ابن خلدون، نفسه.

13 ابن خلدون، العبر،مج13،ج7، ص 690.

14 ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص14.

15 أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، تحقيق ذ.محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1396هـ/1976م ص129.

16 ابن الخطيب، نفسه، ص27.

17 ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1،تحقيق عنان محمد عبد الله، ط2،ص23.

18 انظر: ابن الخطيب، معيار الاختبار، ص15.

19 نفسه، ص16.

20 ابن خلدون، العبر، مج13، ج7، ص696.

21 نفسه.

22 نفسه،ص697.

23 نفسه.

24 احمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق ذ راجان عباس،ج5، دار صادر بيروت1408هـ/1988م ص 105.

25 محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، ط2، دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة 1441هـ/1990م ص78.

26 محمد عبد الله عنان، م س،ص104.

27 نفسه، ص105.

28 نفسه ،ص 478.

29 عبد الهادي التازي، الموجز في العلاقات الدولية للمملكة المغربية، المغرب، 1980، ص95. ابن خلدون، العبر، مج13، ج7، ص708.

30 ابن خلدون، العبر، مج13، ج7، ص708.

32 ابن خلدون، نفسه، ص708.

33 ابنٍ خلدون، نفسه، ص708-709.

34 ابن خلدون،العبر،مج13، ج7،ص709-710. المقري، نفح الطيب، ج5، ص111.

35 سيغموند فرويد، أفكار لأزمنة الحرب والموت"، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977، ص10.